الثورة عند حركة أنصار الله اليمنية

أ. م. د. أحمد عدنان عزيز[*] الباحث خزعل عباس خزعل[**]

الملخص

مَثلتَّ الثورة في عقيدة حركة أنصار الله اليمنية (الحوثيين) عنصراً أساسياً مهماً يمكن الركون إليه كلما أقتضت الضرورة ذلك، إذ عدَّتها أداة للإصلاح والتجديد في الأوضاع الأجتماعية والسياسية الفاسدة والمستبدة، لذا وظفوا أدوات ودوافع الثورة بشكل صحيح بعد مزجها مع عمقهم الفكري والعقائدي(الزيدي) لأعطاء زخم سلوكي ومادي يصب في صالح نجاح الثورة بشقيها السلمي والمسلح، ويبدو إنهم قد نجحوا في هذا التوظيف لحد الآن.

Summery

The title: Revolution of the Yemeni Anssar Allah Faction.

The revolution represents in the ethics of Anssar Allah Faction (Huthes) the basic , important and dependable elements in case it is necessary you need to based on it , consider as the tool for reformation and renewal for the social and political corruption and autocracy, Therefore they managed the tools and inducement of the revolution straight forward after combination with their ideological and ethics (Zaydee) bases ,in order to support impetus behaviour and tangible lead to the beneficial of the success of the revolution in its two section peaceful and armed and it seem they succeeded in their application up to date.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على مفهوم الثورة الذي يُعدّ من أهم المفاهيم في الفكر السياسي الإسلامي والغربي، ومن ثم التعرف على هذا المفهوم

[*] كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

[**] كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

وأدواته ودوافعه عند حركة أنصار الله اليمنية في فعلها ونشاطها الفكري والسياسي على الساحة اليمنية.

إشكالية البحث:

تَمثلت إشكالية البحث في تمازج البُعد الفكري والبُعد السياسي العملي في رؤية حركة أنصار الله للثورة كمفهوم وكممارسة مع عدم امكانية مطابقة جذور هذا المفهوم التاريخية والفكرية مع الممارسة السياسية للحركة في الوقت الحاضر.

فرضية البحث:

ترتكز فرضية البحث حول الإجابة عن تساؤل مركزي، وهو هل الثورة عند حركة أنصار الله فعل مستمر له أدوات ودوافع وخلفيات وأبعاد؟ وتراوحت الإجابة في ثنايا البحث عن وجود حزمة من الأدوات وجملة من الدوافع والمبررات أسهمت في تحقيق مقتضيات الثورة كمفهوم وممارسة ونتائج.

منهجية البحث:

للإحاطة بمفهوم الثورة عند حركة أنصار الله اليمنية وللإجابة عن فرضية البحث وظفنا المدخل التاريخي والمنهج التحليلي مع الاستعارة ببعض المناهج بشكل محدود كالمنهج المقارن والمنهج الوظيفي.

مقدمة:

كما هو معروف تَعود حركة أنصار الله اليمنية (الحوثيون) في جذورها العقائدية إلى الزيدية، بوصفها فرقة إسلامية أرتبط أسمها بزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، والمعلوم أن هذه الفرقة لها العديد من المعتقدات والأصول الفكرية، ولسنا بصدد تناول تلك العقائد والأصول، إنما نريد الإحاطة بموضوعة الثورة لديهم، لما لها من تداعيات وحيثيات معاصرة، ولما لهذا المفهوم (الثورة) من أهمية فكرية وسياسية معاصرة بعد عام 2011، وأحداث ما سُمي بالربيع العربي.

وقدر تعلق الأمر بحركة أنصار الله في اليمن (الحوثيون)، كان ولايزال لهم دوراً بارزاً فيما عُرِف بأحداث الربيع العربي، ثم حصلت تداعيات وتحولات مبنية على أسس ومبادىء الثورة التي يؤمنون بها على وفق جذورهم العقائدية وخلفياتهم التاريخية، وعلى وفق التعاطي السياسي مع المتغيرات السياسية الداخلية والإقليمية وإتخاذ مواقف إزاء ذلك.

وللإلمام بموضوعة الثورة عند الحركة، وبعيداً عن المداخل المفاهمية والنظرية سنبحث الثورة لديهم على وفق فرضية أن الثورة عند حركة أنصار الله اليمنية (الحوثيون) لها جذور عقدية وأبعاد وأدوات ودوافع مختلفة تجاذبتها تلك الجذور من جهة، وزامنتها التحولات السياسية من جهة أخرى.

ولهذا سنتناول موضوعة الثورة من خلال ثلاث محاور مترابطة للإجابة عن سؤال الثورة لدى حركة أنصار الله اليمنية، متبعين المدخل التاريخي والمنهج التحليلي، لاثبات فرضية البحث، وكالآتي:

المبحث الأول: مفهوم الثورة في عقيدة حركة أنصار الله

إن ما يميز الزيدية عن باقي الفرق الإسلامية هو إرتباط أسمها ومنذ نشأتها إرتباطاً كبيراً بمفهوم الثورة وبكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فـ(زيد بن علي بن الحسين) لقب بـ(زيد الثائر) بعد قيامه بالثورة على الحاكم الأموي (هشام بن عبد الملك)، وأطلق بَعده على كل من أتبع نهجه وسار على هَديه أسم (الزيديه)، وصارت التسمية بحد ذاتها عنوان للثورة وللثائرين على الظلم والأستبداد والعبودية، وربما هذه الميزة أو الخاصية لم نجدها مع غيره من الثائرين الذين قادوا ثورات كالإمام (الحسين بن علي)(عليه السلام) أو(المختار الثقفي)، صحيح إن من نَاصر (الحسين)(علية السلام) في ثورته ضد (يزيد بن معاوية) في واقعة كربلاء من الممكن أن يقال عنه أنه حسيني، ولكن لم يذكر لنا المؤرخون نشوء فرقة إسلامية تدعى بـ(الحسينيون) بعد واقعة كربلاء، كذلك لم يذكر لنا التاريخ الإسلامي نشوء فرقة تدعى بـ(المختاريون) بعد ثورة المختار ضد آل الزبير ومقتله فيها، وقد يكون السبب هو إن الزيدية وعلى الرغم من إنتماء ثائرهم (زيد

بن على بن الحسين) إلى آل البيت، والتي منها جاءت نِسبتهم للشيعة، قد أختاروا نهجاً خاصاً بهم مختلفاً إلى حد ما عن الإمامية، وتبعاً لذلك ولخصوصية مذهبهم وسموا بهذه التسمية.

وبالعودة لعنوان البحث ولتسليط الضوء على الكيفية التي فَهمت على وفقها حركة أنصار الله الثورة وقبل الدخول في مقدماتها وأدواتها ومحركاتها، نستطيع القول أن الحركة قد ارتكزت على ركنين أساسيين في موضوعة الثورة وضروراتها وهما: الأول هو الواقع الإسلامي المرير الذي يعيشه الإسلام والمسلمون عموماً منذ وفاة النبي (محمد) (صلى الله عليه وسلم) وإلى اليوم، والذي يجمع الكل على إنحدار مؤشر تقدمه وبشكل مستمر نحو الوهن والتحلل والابتعاد عن تحقيق الأهداف السامية للدين الإسلامي الحنيف، ومن ثم ضرورة توافر الفرص لإحياء وإصلاح واقع الأمة الإسلامية والعوة بها إلى جادة الصواب ثانية على وفق المنهج المحمدي الأصيل، والآخر هو واقع الأمة العربية وجماهيرها المتهمة بسلبية المواقف وميوعتها، وإنعدام الشعور بالمسؤولية واللامبالاة التي وسمت بها الأمة عبر زمن طويل، ومن ثم ضرورة الإفادة من الوضع الراهن وتطوراته على الصعيدين الإقليمي والدولي، وإعادة الثقة بقدرة الجماهير على إحداث التغيير المنشود في إصلاح واقع الأمة.

لذا يمكن القول إن ولادة حركة أنصار الله قد جاءت من وحي مخاض عاشه اليمن وشعبه، فالحركة لم تكن تُعرف بهذا الأسم في بداية نشوءها، ولكن مرت الحركة بتحولات كثيرة إلى أن وصلت لما هي عليه اليوم، فأول ظهور لها كان في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، عندما أنشأت هيئة لتدريس المذهب الزيدي تحت أسم (أتحاد الشباب المؤمن) وذلك في عام 1986م"[1]. كما يرجع بعض من المؤرخين بداية ظهور الحركة للعام 1990م وهو عام توحيد اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي، وبدأ عصر ومرحلة التعدييية الحزبية، والمتطلع على أهداف التنظيم في بداية نشاطهي لاحظ خلوها من هدف سياسي أو عسكري، بل كان توجهها تربوي ثقافي علمي صرف، يُعاكس تماماً توجه الحركة والتنظيم في مراحلها اللاحقة عندما صار لها ذراع عسكري ضارب وآخر سياسي وتنظيمي فكري، وفي حزيران 2004م، ظهر واضحاً

تحول (تنظيم الشباب المؤمن) وأنتقاله من الحالة الفكرية التربوية والتعليمية والثقافية، إلى حالة المواجهة العسكرية المباشرة مع النظام الحاكم، فقد بدا واضحاً قوة ورصانة التنظيم بعد إنتهاء كل حرب من الحروب الست، التي خاضها التنظيم منذ العام 2004م وحتى العام 2009م[2].

يمكننا القول إنّ حركة أنصار الله على صعيد الداخل اليمني قد إفادت من إنكشاف خفايا النظام الحاكم عبر حقبة حكمه الطويلة أمام جميع القوى والشرائح الإجتماعية والسياسية سواء كانت الدينية أم القبلية أم المدنية، فالمشاكل وافتعال الأزمات التي لا حلول لها أصبحت ديدين النظام سواءً في الشمال اليمني أم في الجنوب والوسط قد أستوجبت الإفادة من الواقع الراهن بكل تداعياته لإجل إحداث الإصلاح والتغيير، لذا كان (عبد الملك الحوثي)[3] شقيق مؤسس الحركة الراحل (حسين الحوثي)[4] والقائد الحالي لحركة أنصار الله في اليمن من السباقين في إعلان تأييده لثورة الجماهير اليمنية في 15 فبراير وخروج أنصار الله في طليعة مسيرات المتظاهرين الحاشدة ضد النظام الحاكم في محافظات صعدة والجوف وحجة ومأرب وصنعاء وعمران وذمار معتبراً سلاح الجماهير هو الأمضى والأكثر فاعلية من جميع الأسلحة[5].

ورب سائل يسأل لماذا لم يَتبنَّ (حسين الحوثي) من قبل سلاح الجماهير خياراً للإصلاح الإجتماعي والتحرك المدني السلمي بدلاً عن مواجهة النظام الحاكم عام 2004 بوصفه بديلاً جيداً عن خيار المواجهة العسكرية؟ والجواب ما جاء على لسان أحد أعضاء المكتب السياسي لحركة أنصار الله وهو: هل سيقبل النظام هذا الخيار في ظل إجراءاته التعسفية ضد معارضيه؟ فالحركة لم تلجأ لخيار الثورة المسلحة والمواجهة العسكرية بإرادتها بل أجبرها نظام الرئيس الراحل(علي عبد الله صالح) عليها، ولم يكن في أدبياتها تقديم خيار المواجهة المسلحة على خيار المواجهة السلمية طوعاً، بل لجأت إليها مجبرة بعد أن حوصرت وإتهمت بتهم كثيرة مثل: هدفها بالإنقلاب على النظام الجمهوري وإسقاطه، والعودة باليمن إلى نظام حكم الأئمة الزيدي التقليدي، وعَمالة الحركة وتبعيتها لإيران، وأخيراً شَن حملات عسكرية مباشرة على معاقل أنصار

الحركة وزعيمها في صعدة، والتي أنتهت أولى تلك الحملات بمقتل (حسين الحوثي) زعيم الحركة كما هو معلوم[6].

ف(حسين الحوثي) دعى الجماهير العربية والإسلامية عموماً إلى ضرورة توافر إستراتيجية دفاعية إجتماعية وسياسية ضد الهجمة الشرسة التي تقودها أمريكا والغرب والتي تهدف لاستئصال ووأد المشروع الإسلامي من جذوره وبمساعدة الأنظمة السياسية العربية المتخاذلة والمستسلمة، وذلك من خلال تقوية الروح المعنوية للجماهير وتعئبتهم وتحصين الجبهة الداخلية، ومنع أي أختراق أمريكي أو غربي قد يحصل، رغبةً منه في إعلان المعارضة السلمية لا المواجهة العسكرية كما أشار إلى ذلك مراراً وتكراراً وفي أكثر من مناسبة، ولكن خياره هذا لم يكن هو نفسه خيار ورغبة السلطة الحاكمة وأمريكا، ولعل هذا ماجعل الحوثي وأنصاره في مواجهة مباشرة مع النظام الحاكم في اليمن وأمريكا على حد سواء[7].

فالحوثيون آمنوا بعدة ثوابت في موضوعة الثورة كسياق فكري وسياسي وعبر النقاط الآتية[8]:

1- رفضوا آيدلوجية السمع والطاعة التي أرستها كمفهوم فقهي الدولة الأموية، وآمنت بها بعض التيارات السنية حينما عَدتها موروث فقهي سلفي، والتي تتعارض مع المفاهيم السياسية الحديثة كالديمقراطية والتعددية والأنتخابات، وهو طرح فكري ينسجم إلى حد كبير مع المفهوم الليبرالي الأمريكي والغربي.

2- إن تغيير الخطاب من مهادن إلى ثوري وبالعكس وحسب تغير أو تبدل الموقع في السلطة أو في المعارضة وحسب المصلحة أو الأتفاقات والتحالفات، تمثل إنتهازية تتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية.

3- عَدّوا أن الفكر الثوري تُحدده الظروف الزمانية والمكانية، فطابع المواجهة العسكرية في الفكر الزيدي التقليدي جاءت كنتيجة حتمية لوضع إجتماعي وسياسي فرض المواجهة في ذلك الوقت، حتى أن (حسين الحوثي) قال مرة:" لو كان الإمام زيد موجوداً الآن بين أظهرنا لأختار التغيير عن طريق الأنتخابات وأكد إلتزامه بالشرعية الدستورية"[9]، وفي لقاء مع صحيفة الشورى قال:"إن كل مانقوم به من ترديد ورفع

شعار الموت لأمريكا، إنما يندرج تحت إطار حرية التعبير التي كفلها القانون، وأننا ننادي للتغيير وفق آلية الأنتخابات والصيغ الدستورية"[10].

صحيح أن أنصار الله ينتمون للمذهب الزيدي، ومن الصحيح أيضا أنهم قد أستمدوا ثوريتهم من ذلك الأرث السياسي والعقائدي الكبير المرتبط بآل بيت النبوة، وبالفلسفة السياسية والفكرية للزيدية والمعتزلة، فهم يؤمنون بالعمل الجماعي والابتعاد عن الفردية ورفض الأداء السلبي إجتماعياً وسياسياً، فالزيديون ثوريون بطبعهم، وهم يحثون الجميع دائما على المشاركة السياسية والشعبية، وصحيح أيضا أن (حسين الحوثي) قد قارب بإطروحاته الفكرية والسياسية ذلك الفكر الأصيل، وآمن بالإصلاح و تغيير الواقع الفاسد ليس في اليمن فحسب، بل في عموم أرجاء الأمة العربية والإسلامية التي أصابها الوهن والضعف أيضا كما يطلب ذلك في محاضراته دائماً، وصار لزاماً على شعوبها إحداث التغيير والإصلاح كما يعتقد، ولكن (حسين الحوثي) ما كان ليدفع بثوريته الفكرية هذه أنصاره للتغيير القسري "العسكري"، بل كان يأمل ومن خلال الأنفتاح السياسي الذي شهدته اليمن بعد عام **1990**م، أن يحدث ذلك التغيير المنشود بواسطة السُبل الديمقراطية الحديثة ودون إراقة دم، كذلك ما كان له أن يتنازل عن مبادئه بسهولة، فأجبر بعد أنَّ رفض طلب السلطة منه التخلي عن رفع شعار الحركة أو ترديده على دخول المعارك الستة المعروفة[11] .

وقد أكدت تلك الوقائع دراسة تحليلية أجراها معهد "راند" للأبحاث الأمريكية عن الظاهرة الحوثية، خلصت منها الدراسة إلى كذب الكثير من الإدعاءات المضادة التي كان يتداولها النظام الحاكم والتيارات السلفية المعادية لهم، ومن تلك الحقائق التي خرجت منها الدراسة هي: لم يثبت لنا بعد دراسة عينات من محاضرات (حسين الحوثي) أنه قدم أي متطلبات غريبة مثل كونه الإمام المغيب ولم يدعو إلى العودة للإمامة في شمال اليمن، ولم يحث أنصاره أبداً على حمل السلاح ضد الدولة اليمنية، فهو كان يدعو أنصاره الذين يرددون شعار الحركة في جوامع صعده وصنعاء بعدم مقاومة رجال الأمن الذين يحاولون منعهم وكان يأمرهم بتسليم أنفسهم طواعية لهم مع بداية الأزمة عام **2004**م، حتى ملئت السجون بالمعتقلين من أنصار الله[12].

كما أكد هذا المعنى عضو المجلس السياسي لأنصار الله (عبد الملك العجري) حينما قال: "إن التكوين الفكري للحوثي النابع من الفكر السياسي للزيدية التقليدية شكل نوعاً من الحماية لأنصار الله من الانزلاق إلى الفكر التكفيري الذي تورطت أو أنزلقت إليه بعض الجماعات الأصولية المسلحة التي تَبنت موقفاً يقترب من الفكر التكفيري للخوارج، فلم تكتفي بإدماج الفعل السياسي بالدين وإنما في التوحيد المباشر فيما يسمى مفهوم الحاكمية الذي على أساسه نَعتت الحكام بالكفر الصريح والمجتمع بالجاهلية"[13].

نَخلص إلى أن حركة أنصار الله قد فهمت الثورة على إنها إصلاح ونهضة ترمي لتغيير واقعاً مرفوضاً شعبياً بالطرق السلمية وفي ظل دولة مدنية تبيح للجميع إستخدام الوسائل السلمية كالتعبير عن الرأي والمشاركة الشعبية والإنتخابات الديمقراطية وغيرهما من الوسائل والأليات المستخدمة في الليبرالية الغربية وصولاً لإحداث التغيير، وتحقيق المطالب الشعبية، ولعل خير مصداق على ذلك قول مؤسس الحركة "لو كان زيد بيننا الآن لأختار الديمقراطية وآمن بالشرعية الدستورية"، فهم إذن يؤمنون بالآليات الديمقراطية وتأسيس دولة مدنية حديثة يحكمها الدستور نابع من مطالب الشعب، ولكن إن حوصروا وضُيقَ عليهم فهم مستعدين للمواجهة والقتال حتى الموت لأجل مبادئهم.

ولأن عمق البُعد الفكري والعقدي لحركة أنصار الله يعود إلى إمتدادهم الزيدي، إذ شكلوا في يوم ما نسبة 54,5% من سكان اليمن[14]، وتراجعت هذه النسبة بسبب العديد من الظروف حتى قيل إنهم لايشكلون اليوم سوى قرابة 35% من سكان اليمن ذو الأغلبية الشافعية[15]، إلا أن تأثيرهم كبيراً جداً ولايمكن محو أو تناسي ذلك التأثير بسبب تربعهم على السلطة والحكم في اليمن قرابة أحد عشر قرناً، وهذا التاريخ الطويل ترك جذوراً تأصلت بشكل كبير في كينونة الشخصية اليمنية، وفجأة أصبح أتباع هذا المذهب بعد قيام النظام الجمهوري عام 1962م مُبعدين عن السلطة ويشعرون بالتهميش والملاحقة على خلفية ماتركه حكم الأئمة من سلبيات في اليمن، مما وَلدَ

لدى أبناء المذهب الشعور بالمظلومية الإجتماعية والسياسية، فكان ذلك مدعاة لتصدي نُخبهم الفكرية للدفاع عن طائفتهم وهويتها العقائدية.

عَمدت حركة أنصار الله إلى إحياء وتجديد الفكر الزيدي وإظهاره بصورة محدثة مُتخذة من البُعد التاريخي قاعدة لهم ومن محاولة ملامسة مشاعر الناس وحاجاتهم الآنية رأس سهم لأنطلاق تحركهم، فأشترك مؤسس الحركة (حسين الحوثي) مع نُخبة من الزيديين في تأسيس جماعة "الشباب المؤمن" التي كانت في وقتها جماعة هدفها ديني وثقافي توعوي بعيداً كل البعد عن الأمور السياسية، وأفادت من فُسحة الأنفتاح السياسي والتعددية السياسية عام 1990م لممارسة نشاطاتها وبدعم حكومي واضح، فَبادرت إلى فتح منتديات ثقافية ودينية لإلقاء المحاضرات الدينية وعقد الندوات وممارسة النشاطات الثقافية الأخرى، كما سمح لأبناء المذهب بطباعة كتبهم التراثية والدينية وممارسة شعائرهم الدينية في مساجدهم ومنتدياتهم[16].

فحركة أنصار الله مُتهمة بإنها إستثمرت أفكار وعقائد وتاريخ المذهب الزيدي الأصيل وسَخرتها لإستمالة قلوب الناس وتحقيق أهداف وغايات بعيدة عن المذهبية الفقهية بإعتبارها الأساس للتأصيل الفكري، ومتهمة أيضاً بأن أغلبية مطالبهم المظلومية محض إفتراء وكذب، فلا هم محرومون من ممارسة نشاطاتهم وشعائرهم الدينية، ولا هم محرومون من المشاركة السياسية، فمنهم الوزراء والنواب وأعضاء مجلس شورى الدولة ومستشاري للرئيس وقادة للجيش وأساتذة جامعات وأئمة مساجد، والدولة منفتحة عليهم وتدعمهم[17].

فالواقع الأجتماعي والسياسي لليمن لايَدلُ على صحة كل إتهامات متهميهم ولا على كذبهم بالمطلق، فقد تعودنا أن نسمع من الضامرين بالكراهية لطرف ما، أن يتحدثوا فقط عن السلبيات ويتركوا الإيجابيات، وهذا ديدين غالبية الأقلام المغرضة أو المدفوعة الثمن، فمن النادر أن نجد عدو يذكر محاسن عدوه بتجرد، فقد يكون معظم ما قيل عن حصول الزيديين من إمتيازات ومشاركة إجتماعية وسياسية صحيح، ولكن إيضاً من الصحيح أن نذكر كل مايحيط بالمشهد لا أن نأخذه من جانب واحد، فشعب اليمن شعب فقير جداً، والغالب الأعم يشعر بالتهميش والأقصاء ليس فقط الزيديين،

والجميع مُصاب بخيبة أمل من تَحسن الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وحلمهم ببناء دولة مدنية حديثة تبخر شيئاً فشيئاً، وأصبحوا يشعرون بأن أسم النظام الجمهوري صار أسماً على غير مسمى، فالبلد سائر بإتجاه الديكتاتورية والإنفراد بالسلطة وكان قاب قوسين أو أدنى من أن يتحول للتوريث، والكل يشعر بالتهديد، فسياسة النظام المتبعة (الرقص على رؤوس الثعابين) وسياسة (فرق تَسد) وتقوية الأضداد وإيقاع بعضهم ببعضاً، والمشاكل جمة ولا مجال لذكرها جميعاً هنا، ولكن رأينا من المنصف ذكر بعض من الحقيقة لتكون الصورة مكتملة[18].

خلاصة الأمر نستطيع القول إن حركة أنصار الله وقبل أن تكون حركة سياسية قد نجحت بقيادة مؤسسها(حسين الحوثي) إلى حد كبير بإختيار الآلية الصحيحة للنفوذ إلى قلوب أنصارها، فالرجل تعامل بذكاء مع الواقع، وحاول الولوج إلى عقول الناس قبل قلوبهم، من خلال التأثير على أفكار الطبقة الناشئة والشباب من الشعب، وذلك من خلال تأسيسه لمنتدى(الشباب المؤمن) التربوي والثقافي والتوعوي تأسيساً على قاعدة (الشباب عماد المستقبل)، ومدركاً تماماً بأن التغيير يجب أن يكون من القاعدة لا من رأس الهرم، ولعل معارضة البعض من علماء الزيدية لأفكاره وإصدارهم بيان في هذا الشأن لخير دليل على صحة ما نذهب إليه[19]، ونرى إنّ (حسين الحوثي) قد أختار قاعدة الشباب للتغيير، وأختار الجانب الثقافي والفكري قبل الدخول في عالم السياسة، وتأسيس حزباً سياسياً مستفيداً من القاعدة الجماهيرية التي أسسها أبان حُقبة عمله التربوي والثقافي والفكري مع قاعدته الجماهيرية، فأصبحوا له بعد ذلك بمثابة ظهيراً قوياً يدعمه ويؤازره عند الحاجة والضرورة، فالرجل على مايبدو قد نَجح وبشكل جيد في تَسخير البُعد الفكري كأداة للثورة.

المبحث الثاني: أدوات الثورة عند حركة أنصار الله

تتلخص الأدوات التي أستثمرتها حركة أنصار الله اليمنية في الثورة بعدة نقاط من أهمها:

المطلب الأول: الأدوات التنظيمية والأجتماعية

من المعروف أن أي عمل ومهما كان نوعه، إجتماعي أو ثقافي أو سياسي يحتاج إلى تخطيط وتنظيم، وإن أي عمل يفتقد للتنظيم والتخطيط مصيره الفشل، ولعل أحد أهم أسباب نجاح حركة أنصار الله هو الهيكل التنظيمي الجيد للحركة، فكما مر علينا في سياق البحث هذا، كان أول شكل من أشكال ظهور الحركة هو تنظيم "إتحاد الشباب" عام 1982م، والذي كان عبارة عن منتدى ثقافي ديني تترأسه هيئة لتدريس عقائد وأفكار الزيدية لمعتنقيها، وفي العام 1990م شهدت الساحة السياسية اليمنية تحولاً ديمقراطياً كبيراً وفُتحت الأبواب أمام ممارسة التعددية الحزبية والمشاركة السياسية، فأفاد (حسين الحوثي) وتنظيمه كثيراً من هذا التحول، وتحسنت علاقتهم بنظام حكم الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح)، وأفادوا من دعمه المادي والمعنوي لهم، ولم تُبدم تلك العلاقة طويلاً، إذ بدأ إنفكاك عرى التواصل بينهم تدريجياً خلال العقد التسعيني حتى وصل العداء بينهم إلى أعلى مستوياته بعد عام 2003م، وتحديداً بعد الأحتلال الأمريكي للعراق.

وفي العام 1991م بادر مجموعة من الشباب الزيدي إلى إنشاء منتدى "الشباب المؤمن" وكان على رأسهم الباحث المعروف (محمد يحيى سالم عزان) ورفيقه (عبد الكريم جدبان) ومجموعة أخرى، وأخذ هذا المنتدى على عاتقه بدء "حركة تنويرية" من خلال إقامة برامج ثقافية ودورات صيفية تهدف إلى توعية الشباب الزيدي ونشر تيار ثقافي توعوي بينهم، وقد أثار هذا المشروع مخاوف العلماء الزيديين التقليديين، ولكن ما بَدد المخاوف هو وقوف (بدر الدين الحوثي) إلى جانبهم وإنضمام ولده (حسين) إليهم[20].

ثم شهد العام 1992م إنضمام (حسين بدر الدين الحوثي) لمنتدى الشباب المؤمن وبروزه بشكل كبير على الساحة اليمنية من خلال نشاطه الثقافي الكبير ودوره الثقافي والتوعوي وإلقاء المحاضرات في المدن والقرى اليمنية بما سميت لاحقاً بـ"محاضرات السيد"، ثم أسس القائمين على المنتدى حزباً سياسياً أسموه "حزب الحق" وبرز أسم (حسين بدر الدين الحوثي) كعضواً نشطاً في الحزب، مما دعى رفاقه في الحزب إلى تقديمه كمرشح ممثل لحزبه في مجلس النواب، وفاز في الدورة الإنتخابية لمجلس

النواب في العام 1993م وإعيد إنتخابه لدورة ثانية عام 1997م، وبعد إنضمام (حسين الحوثي) للمنتدى ومزاولته لنشاطه التوعوي الكبير، بدأت ملامح الأنشقاق والتغيير تتضح يوما بعد آخر بسبب الخلافات التي بدأت تظهر على السطح بينه وبين مؤسسي الحركة، فلم يكونوا راضين عن الإداء الحوثي وعَدوا (حسين الحوثي) قد أستغل هذا المنتدى لهدف غير الهدف الذي أنشأ لأجله[21].

وبحلول العام 2000م وصلت الخلافات داخل حزب الحق إلى أوجها بين تيار (محمد سالم عزان) ورفاقه من جهة وبين (حسين الحوثي) وجماعته من جهة أخرى، بسبب ما أعتبره (عزان) ورفاقه أفكارا لاتمثل الزيدية بل وتتعارض فقهياً مع المذهب ومبادئه وعَدوا ذلك إنقلاباً داخل الحزب، فما كان من (حسين الحوثي) إلا أن يعلن عن تيار جديد أسماه (حركة الشعار) وهو تيار لا علاقة له بتيار (الشباب المؤمن)[22]، بعد ذلك أستمر توسع وإنتشار الفكر الحوثي بشكل كبير في القصبات والمدن اليمنية وتحول الحزب إلى المعارضة عام 2002م داخل البرلمان، وشيئاً فشيئاً بدأت ملامح المواجهة مع الحكومة تتبلور بشكل صِدام عَسكري، وهذا ماحدث فعلاً في العام 2004م والذي كان بداية مرحلة الحروب الستة التي خاضتها جماعة منتدى الشباب المؤمن التي غيرت إسمها قبل ذلك إلى "حركة أنصار الله"، ولم تنتهي تلك الحروب إلا في العام 2010م[23] لتبدأ الحركة عصراً جديداً من التنظيم السياسي متخذةً من المظلومية التي وقعت عليها بسبب تلك الحروب عاملاً قوياً لتعاطف الجماهير معها وتعضيدها.

من المعلوم أن أي عمل لايُكتب له النجاح من دون تخطيط وتنظيم، وما يُحسب لمؤسس حركة أنصار الله (حسين الحوثي) أنه قد أختار الظروف المناسبة لتحركاته الفكرية أو السياسية، فقد لاحظنا التحولات الحركية في الأداء والفعل، والأنتقالات من فعل لآخر، وحسب الظرف المكاني والزماني، وحسب النتائج والمآلات بين ظرف وآخر، ولعل هذا الأثر هو موروث زيدي أصيل، فالزيدية يعدَّون من أفضل الفرق الإسلامية التي تُغلب إستخدام العقل وتؤمن بالإجتهاد الحر والتكييف مع الظرف، لذا يُمكننا القول أن (حسين الحوثي) قد أستطاع بحنكته القيادية وذكاءه، وتفوهه الخطابي

ومحاضراته من توسيع تنظيم أنصاره في عموم المدن اليمنية ليجعل منهم أداة يستطيع التصدي بها ومن خلالها للثورة والخروج على نظام الحكم.

كما كان للتأييد والدعم الجماهيري المتزايد بين صفوف اليمنيين من المذهب الزيدي أو المذاهب الأخرى في صعدة وخارجها اثراً كبيراً في تقوية عود "حركة أنصار الله" بعد إنتهاء الحرب، ولربما ساعدت في ذلك جملةً من التغييرات السياسية الحاصلة في الساحة اليمنية ومنها[24]:

أ- تبني الحركة للأعمال الخيرية وتعاطفهم مع الحياة البائسة والفقيرة للمجتمع اليمني.

ب- إستخدموا خطاباً دينياً وثقافياً لامس وجدان الناس وحاجاتهم على وفق رؤية مذهبية تناغمت مع التقاليد والأعراف اليمنية.

ج- أفادوا من التحشيد والتعئبه ضد أمريكا وإسرائيل وكسب ود ومشاعر اليمنيين خاصة بعد الحملة الأمريكية لما سمته "محاربة الأرهاب" وغزو العراق تحت ذلك الشعار.

د- إزدياد النقمة الجماهيرية على النظام الحاكم وتردي الأوضاع، مما حدى بالحركة لطرح فكرة إيجاد البديل.

هـ- إصدار)بدر الدين الحوثي(لفتوى فقدان الشرعية الدينية لنظام الرئيس الراحل)علي عبد الله صالح(.

و- الأفادة من التجربة والدعم الإيراني والذي تجلى بصور متعددة ومنها الدعم الإعلامي المعنوي والمالي للحركة.

ز- إزدياد قوة الحركة من خلال كثرة وجود أنصار لها داخل مؤسسات السلطة والحكم كوزراء أو محافظين أو مسؤولين أمنيين.

ر- إزدياد قوة إيران وتأثيرها في المحافل الدولية ونجاح حزب الله في لبنان وتبوء شيعة العراق للسلطة والحكم هناك، كلها عوامل عدَّها البعض عناصر قوة وتشجيع لحركة أنصار الله الشيعية.

لقد أكد (حسين الحوثي) دائماً على أهمية المشاركة الشعبية والجماهيرية لإيمانه الكبير بأن التغيير لايمكن أن يحصل من دون مشاركة واسعة للجماهير، فهو لم يحصر

هذه المشاركة بالشأن الداخلي فقط، بل ذهب أبعد من ذلك حينما طلب من الجميع المساهمة والمشاركة الفعالة حتى في الشأن الخارجي الذي يخص علاقة اليمن بدول العالم، وأختيار وتحديد هوية الأعداء والأصدقاء، وعدم ترك ذلك الأمر للحاكم بمفرده يختار من يجعله صديقاً ومن يجعله عدواً، فالأمر يخص شعب اليمن ومستقبله وضرورة مشاركته في تقرير حاضره وتحديد مستقبله، ويجب أن يكون كل ذلك بيد الشعب وبمشاركته[25]، من هنا وجدنا تركيزه على إشراك الجماهير معه وإعطائهم دوراً كبيراً في العمل السياسي، والضرب على وتر التهميش الحكومي للشعب، وأستطاع من شحذ الهمم وكسب الأنصار وجعلها أداة بيده للتمرد والثورة ورفض الواقع المتردي إجتماعياً وسياسياً وإقتصادياً.

وفي مجال التمويل المالي إعتمدت الحركة على عدة مصادر ولعل من أهمها:

أ- الدعم المالي من قبل أنصار ومؤيدي الحركة والجمعيات الخيرية والتبرعات والهبات والزكاة المقدمة للحركة في الداخل اليمني، ومن جمعيات ومؤسسات خيرية أو شخصيات ثرية شيعية متعاطفة مع قضيتهم خارج اليمن[26].

ب- الدعم الحكومي قبل نشوب الخلاف مع الحركة، فقد سعى الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) لدعم الحركة على وفق سياسة التفرقة التي اتبعها بتقوية طرف ضد طرف، وقد هدف من ذلك الدعم لتقويض قوة السلفيين في اليمن في وقت ما.

ج- دعم مادي ومعنوي قَطري جاء على خلفية العداء القطري- السعودي، إذ سَعت قطر لتقوية عود الحوثيين للممارسة الضغط على السعودية من بوابة قرب معقل الحوثيين في صعدة على الحدود السعودية الجنوبية[27].

د- الدعم الإيراني المثير للجدل (فقد أثير جدلاً واسعاً حول نوع وحجم هذا الدعم) فمنهم من صَنفه على أنه دعم مادي وعسكري وإعلامي واسعاً وكبيراً، ومنهم من قال إنه مجرد دعماً معنوياً ومساندة بالوقوف إلى جنبهم فحسب، كما جرى الحديث عن بواخر وسفن من الأسلحة مرسلة لهم من إيران وتدريب لمقاتليهم من قبل الحرس الثوري الإيراني وإرسال مبالغ كبيرة لمساعدتهم وغير ذلك، وجوبهت تلك التُهم من قبل إيران على الدوام بالنفي والتكذيب[28]، إذ إن من يكتب عن أنصار الله اليوم أما

صديق محب أو عدو كاره، فلا وجود لجهة محايدة ثالثة، ولعل مايصعب من موضوع البحث كثيراً.

لايخفى على أحد أهمية الدعم المالي لأي تحرك سياسي ثوري، فحركة أنصار الله أفادت من جميع المصادر المتاحة لها داخلياً وخارجياً وتسخيرها كأداة للثورة، فعلى مستوى الداخل أفادت من دعم أنصارها ومؤيديها لها، ومن الدعم الحكومي أبان الأنفتاح الحكومي عليهم، وإقليمياً أفادت من الدعم الخليجي الذي جاء على خلفية صراع دول خليجية على الزعامة في المنطقة (قطر والسعودية)، وكذلك الإيراني على خلفية التمدد وتصدير الثورة بشكل ناعم بعد تخليها عن الإعلان الخشن لتصدير الثورة.

المطلب الثاني: الأدوات الجغرافية والعسكرية

لقد ساعدت البيئة الجغرافية أنصار الله كثيراً في حروبهم مع السلطة الحاكمة، فمن المعلوم أن صعدة معقل الزيدية تقع في شمال اليمن وتمتاز بموقع جغرافي معقد وصعب، إذ التضاريس الجبلية المعقدة مما صَعب على القوات الحكومية خوض الحروب في تلك البيئة التي خَبرها بشكل جيد سكانها الأصليين.

ومن المعلوم تاريخياً أن جغرافية مدينة صعدة قد أمتازت بوجود جبال شاهقة ودروب صعبة ومعقدة لايعرفها إلا أهلها وساكنيها، ومنذ القدم أغرت صعدة الثائرين والمتمردين على أنظمة الحكم المركزية قبل الإسلام وبعده إلى اللجوء إليها وتأسيس دولهم وإماراتهم متحصنين بمناعتها الطبيعية وفي بُعدها عن مراكز الحكم كما حصل أبان حكم الأمويين في الشام والعباسيين في بغداد، فتأسست أول دولة زيدية فيها هي الـ(الدولة الهادوية)، ولم يستطيع نظام الخلافة العباسي من الوصول إليها ومنعها آنذاك[29]، لذا فقد عُرف عن هذه المدينة تاريخها العريق بالتمرد والعصيان على أنظمة الحكم، فأستثمر (حسين الحوثي) مؤسس الحركة هذا العامل الجغرافي هذا معيداً للأذهان حوادث التاريخ للواجهة ثانية، ونجح إلى حد كبير في إمتصاص شدة الهجمات العسكرية القوية خلال الحروب الستة، والتي شارك في آخرها الطيران

السعودي بكثافة مسانداً لنظام حكم الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) دون تحقيق نجاح عسكري يُذكر، أي يمكننا القول بأن عامل الجغرافية هذا كان أحدى الأدوات التي أفادت منها الحركة بالثورة والحرب ضد النظام والآخرين.

أما فيما يخص قدرات الحركة العسكرية والقوة التسليحية الذاتية، فقد عُرف عن أنصار الله إنهم مقاتلين تدربوا وتمرسوا على إستخدام السلاح وخوض المعارك ولعلهم أصبحوا بحكم خبرتهم وتمرسهم من أشد القوى والحركات السياسية والدينية المسلحة على الساحة اليمنية، بل أصبحت الحركة نداً قوياً للحكومة والجيش اليمني، وترجع أسباب قوتهم وتفوقهم إلى قوة تسليحهم، ومن أهم مصادر تسليحهم هي: أولا: خوضهم لحروب ومعارك ست ضد الجيش والحكومة اليمنية بدءً من عام 2004م ولغاية 2010م وخرجوا منها أقوى عزيمةً وأصراراً واشد بأساً وقوةً، خاصةً وإنهم في أغلب معاركهم كانوا يحصلون على غنائم من أسلحة الجيش اليمني، وشيئاً فشيئاً أصبحت لديهم ترسانتهم الخاصة من السلاح، وقد ذكر في رسالة لـ(بدر الدين الحوثي) إلى (جواد الشهرستاني) مسؤول مؤسسة آل البيت في قم بإيران يشرح فيها مدى جاهزية حركة أنصار الله للقتال قائلاً: "لانبالغ لكم إذا قلنا: إن لدينا القوة التي توازي قوة النظام والحكم العميل، فليس لدينا قوة هذا النظام الكافر، لكن لدينا القدرة على هزيمته"[30]، فأفراد الحركة متهمون بأنهم تلقوا تدريباتهم من الناحية العسكرية في معسكرات للحرس الثوري الإيراني، ومن الناحية الفكرية والعقائدية على يد معلمهم مؤسس الحركة (حسين بدر الدين الحوثي) وشكلوا تنظيمهم "الشباب المؤمن"[31].

كما إن أنصار الله كانوا قد غَنموا إسلحة أمريكية وأوربية متطورة نوع ما ومن طرفيين، الطرف الأول هو الجيش اليمني ومن السلاح الذي زُودت به الحكومة اليمنية من قبل الغرب لمقاتلة القاعدة في اليمن فوقع بإيدي أنصار الله، أما الطرف الآخر فكان سعودياً، وهو أمريكياً وغربياً أيضا، فكما هو معروف إشتراك السعودية في الحملات الحربية الخامسة والسادسة إلى جنب

الحكومة اليمنية في ضرب الحوثيين فوقع جزء من تلك الأسلحة بإيدي الحوثيين كغنائم[32]، ونرى أن هذا المصدر برغم وجودة كمصدر للسلاح إلا أنه لايمكن التعويل عليه كمصدر كبير ومستمر وذلك بسبب محدوديته.

إما المصدر الثاني لتسليح انصار الله، فكما هو معروف فإن الشعب اليمني بشكل عام شعب مسلح وهناك مناطق معروف عنها إنها مناطق أسواق لبيع وشراء السلاح وإحدى هذه المناطق المشهورة هي منطقة (الطلح) بصعدة والتي تعتبر من أهم أسواق السلاح في اليمن والتي تقع تحت منطقة نفوذ انصار الله، كما عرف عن أنصار الله قدرتهم على التفاوض وشراء كميات كبيرة من السلاح[33].

أما المصدر الثالث لتسليح أنصار الله والذي لانعرف مدى مصداقيته، والذي وإن صدق فإننا لانستطيع التأكد من طرف محايد عن حجم ذلك التعاون التسليحي، فهو إيران حيث تحدثت تقارير عن إستلام حركة أنصار الله للسلاح عن طريق قاعدتها العسكرية في أرتيريا وبواسطة زوارق الصيد التي لا تلفت الأنظار إلى شواطيء ميناء "ميدي" اليمني القريب من صعدة[34]، وفي نفس السياق تحدث تقريراً لمعهد واشنطن عن ذلك قائلاً: "لاتوجد أدلة دامغة عن وجود مثل هذه الروابط، فلا يظهر المتمردون اليمنيون أية أنواع من القدرات المستخدمة من قبل وكلاء إيران مثل "حزب الله" و"حماس" على سبيل المثال، صواريخ (107) و(122) ملم وقنابل متطورة مزروعة على جانب الطريق[35]"، إذ سوق تداول السلاح في اليمن رائج والمعروف عن اليمنيون إنهم شعب مسلح.

ولعل من أهم عناصر نجاح الثورات هو قوة تسليحها، إذ تذكر لنا حوادث التاريخ المعاصر، أن كل الثورات المسلحة الناجحة والأنقلابات العسكرية قد قامت بمؤازرة الجيش ومساعدته، كونه هو من يملك السلاح وهو صمام الأمان للدولة وحامي نظامها، من هنا نجد أن أغلب الثائرين إذا أستثنينا القليل منهم أمثال (غاندي) قد حَرصوا على تجهيز أنفسهم بالسلاح الذي يستطيعون من خلاله الوقوف بقوة وحزم ضد أعدائهم.

وهكذا وجدنا حركة أنصار الله قد حرصت على جمع السلاح وتخزينه وبشتى الطرق والوسائل كما ذكرنا ليكون مصدر قوتها وأس نجاحها في الدفاع عن أهدافها عند المواجهة، وقد حصل لها ذلك وأفادت من هذه الأداة بتحقيق النصر على أعدائها.

المطلب الثالث: الافادة من التجارب الثورية الأخرى

من الممكن القول إنّ من أهم التجارب الثورية التي تأثرت بها حركة أنصار الله ومؤسسها (حسين الحوثي) هي تجربة الثورة الإيرانية بقيادة (روح الله الخميني) عام 1979م، فعلى الرغم من الاختلاف الفكري والعقدي بين الفكر الأثني عشري وولاية الفقيه من جانب، وبين الفكر الزيدي من جانب آخر، فالتجربة الثورية في إيران تحتمل التأثير في حركة أنصار الله من حيث كونها تجربة ثورية مشابهة إستطاعت من تحقيق الكثير، فهم لم يُعجبوا بفكر وعقائد الإيرانيين قَدر إعجابهم بالأداء الحماسي للثورة وقائدها (الخميني)، والتي إستطاعت من تغيير نظام حكم ملكي وراثي ديكتاتوري حكم إيران لعقود طويلة وأرتبط بوصفه حليف إستراتيجي قوي بالغرب وأمريكا إرتباطاً وثيقاً حتى قيل عن شاه إيران بأنه "شرطي الخليج" وحامي مصالح أمريكا والغرب في الخليج، وكانت إيران في ذلك الوقت الدولة رقم واحد في المنطقة من حيث القوة العسكرية والتأثير السياسي، كما كانت الذراع الأمريكي الضارب في الخليج والمنطقة، فلم تكن أمريكا لتتخلى عنها بسهولة ويسر لولا ماأحدثته ثورة (الخميني) والتي قلبت موازين القوى رأساً على عقب)[36]، فكانت ثورة لها صدى وتأثير في موازين القوى الإقليمية من حيث سرعتها وعمق تأثيرها، وبرز جلياً دور الدين وقوة تأثير رجالاته وقياداته في واقع سياسي من المفترض أن النظام فيه كان محمي بأجهزة أمنية وعسكرية وصرفت عليه بسخاء الأموال الكبيرة لكي تحافظ على إطالة عمره، يُضاف إلى كل ذلك إنعدام أسباب حدوث الثورات الإعتيادية، كالخسائر العسكرية أو الأزمات المالية الكبيرة أو تمرد وعصيان العمال أو الفلاحين وأخيرا الإنقلاب والتمرد العسكري)[37]، فكان سبب الثورة خارج السياقات المعروفة وكانت النتيجة على أرض الواقع هي قيام

جمهورية إسلامية يقودها رجل دين ثمانيني، فأصبح الحدث بحد ذاته يحتاج إلى التحليل والتفسير المعمق، ولعل هذا السياق غير المعروف لحدوث الثورات كان هو السبب الرئيس في مقاربة الثورة كمفهوم وحركة عند حركة أنصار الله مع التجربة الثورية في إيران.

كما إن تجربة "حزب الله" في لبنان كانت مَثار إعجاب مؤسس حركة أنصار الله أيضاً ولإعتبارات شتى، ولعل من أهم تلك الإعتبارات هي: أولا: ارتباط تجربة الحزب بالثورة في إيران ارتباطا وثيقاً من الناحية الفكرية والعقدية، فكما هو معروف تبعية المرجعية الفقهية للحزب إلى المرجعية الإيرانية ومن ثم الدعم الغير محدود من قبل إيران للحزب ونشاطاته[38]، أما الإعتبار الثاني: فهو إتخاذ الحزب لهدف ديني ووطني مقدس يلامس مشاعر وعواطف الجماهير العربية والإسلامية وهو هدف محاربة إسرائيل ومن ثم نجاحه إلى حد كبير في تحقيق النصر عليها في أكثر من منازلة، مما جعل من إسرائيل أنَّ تقيم وزناً وتحسب حساباً أكبر لحزب الله وجناحه العسكري الضارب أكبر من حساباتها مع جيوش الدول العربية وحكوماتها الضعيفة في المنطقة[39].

أما الأعتبار الثالث فهو: تشابه تجربة أنصار الله مع تجربة حزب الله من حيث كونها تجربة ثورية في إطار ديني وطني غايته إصلاح ما أفسدته الأنظمة الحاكمة والخانعة والسائرة في ركب أمريكا والغرب، فعلى الرغم من إختلاف البيئة الإجتماعية بين لبنان واليمن وإختلاف الواقع الديني والمذهبي بين الأثنين، إذ في اليمن إتجاهيين فقهيين رئيسيين هما الزيدي والشافعي مع وجود التأثير الإقليمي من قبل السعودية وإيران، بينما في لبنان الواقع أصعب حيث الإتجاهات الفقهية والعقدية أكثر، وفي الساحة اللبنانية تتصارع القوى السنية والشيعية مضافاً إليها القوى المسيحية مع وجود مؤثريين إقليميين أكثر من الحالة اليمنية، إذ تؤثر السعودية وإيران مضافاً إليها إسرائيل والغرب[40]، وعلى الرغم من صعوبة وتعقيد موقف حزب الله في لبنان أكثر من موقف أنصار الله في اليمن فإن حزب الله قد نجح إلى حد كبير في التعامل مع المؤثريين المحليين والإقليميين والدوليين مما جعل منه مَثار إعجاب لأنصار الله، لذا فقد وجدنا المقاربات واضحة وجلية في إختيار أنصار الله لتسميتهم لأنفسهم وحتى في إختيارهم

لشعار حركتهم المستوحى من شعار حزب الله وإيران الذي رَفعوه في مقاتلة أمريكا واليهود وإسرائيل[41].

لذا يمكننا القول بأن حركة أنصار الله أستطاعت إلى حد كبير وبسبب تأثرها الواضح والمُعلن بالتجربتين الإيرانية واللبنانية من تحويل هذا الإعجاب إلى أداة فعالة في تحشيد الفكر والعمل العسكري والثورة على النظام، خاصة مع توفر الدعم المادي والمعنوي والإعلامي من قبل إيران وحزب الله.

كما أستطاعت حركة أنصار الله من إستثمار وتسخير جميع الأدوات المتاحة لها للثورة والخروج على النظام الحاكم، سواءً على المستوى الداخلي والمحلي أو على المستوى الخارجي والإقليمي، فعلى الرغم من مقتل زعيم ومؤسس حركة أنصار الله (حسين الحوثي) مبكراً في أولى المعارك الستة التي خاضوها ضد نظام حكم الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) كما مر في سياق البحث، إلا أنه ترك إرثاً فكرياً ودينياً كبيراً إستطاع بعده أخيه غير الشقيق (عبد الملك الحوثي) الذي خلفه في قيادة الحركة من تسخير ذلك الأرث والأستمرار في زيادة التحشيد الشعبي للحركة، وإستثمار جميع الأدوات المادية والمعنوية واللوجستية المتاحة خدمةً لصالح الحركة وأنصارها، ولعل ثبات أنصار الحركة ومقاتلتهم بعقيدة راسخة وصموداً كبيراً طيلة حُقب الحروب الستة، هو ماجعل منهم إنموذج لحركات التحرر الوطني التي تقاتل حد الموت لأجل معتقداتها وأفكارها، وهنا تترسخ المواقف السياسية في موضوعة الثورة مع العمق الفكري الذي تؤمن به وتتبناه حركة أنصار الله، مما أنعكس على التعاطي مع فهمهم للثورة وتطبيقاتهم لها، وإستخدام الأدوات اللازمة لتحقيق هذا المفهوم، وهذا يشمل أيضاً دوافع الثورة عندهم، والذي سنبحثه في سياق المحور التالي الذي يتضمن كل مايحيط بحركة أنصار الله.

المبحث الثالث: دوافع الثورة عند حركة أنصار الله

لكل ثورة أسباب ودوافع تحرك حيثياتها وقد تكون هذه الدوافع فكرية أو سياسية أو إجتماعية ولأنصار الله دوافعهم الدينية والإجتماعية والسياسية التي قادتهم لتبني

خيار الثورة، ومن أهم دوافع الثورة ومحركاتها عند الحركة، وسنبحثها على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدوافع السياسية

إن فكرة الثورة والتغيير لدى الحوثيين لم تنطلق من مجرد تغيير واقع محلي متردي يخص اليمن فحسب، بل أرتبطت هذه الفكرة إلى حد كبير بالوضع العالمي والتحدي الكبير الذي تواجهه الدول العربية والإسلامية خصوصاً بعد الحملة التي قادتها أمريكا وأطلقت عليها "الحملة العالمية للقضاء على الأرهاب الأصولي" والتي بها ومن خلالها شرعنت أمريكا لنفسها تشريعات سوغت لها خرق سيادة الدول، فكانت اليمن من ضمن تلك الدول الضحايا، حيث أعطت لنفسها الحق بالتجاوز على أرض وسماء ومياه اليمن بذريعة ملاحقة الجهاديين في أرض اليمن من أفراد القاعدة العائديين من قتال الروس في أفغانستان، والذين أمريكا هي نفسها من ساهم بصنعهم وإرسالهم لمقاتلة الروس بحجة الدفاع عن الإسلام، واليوم تعود أمريكا للقضاء عليهم في أرض اليمن، أي مفارقات هذه التي تحدث في عالم السياسة؟ فحليف الأمس عدو اليوم، ولعل ما يسجل للحوثيون هو وقوفهم إلى جانب السلفيين بوجه أمريكا ورفض التجاوز على حرمة أراضي وأجواء ومياه اليمن وقتل مواطنين يمنيين وإن كانوا سلفيين بحجة محاربة الأرهاب، بالرغم من كل ما عرف عن الأختلاف الفكري والعقائدي والآيدلوجي بين الفريقين[42].

لقد أكد(حسين الحوثي) في العديد من محاضراته على نقطة مهمة وجوهرية وعدَّها منطلقاً للمواجهة والصراع مع أمريكا والكيان الصهيوني، فعلى الرغم من إمتلاك حركة أنصار الله لآيدلوجية دينية شمولية إلا إنهم لم يتبنوا مطالب أو إصلاحات سياسية أو إجتماعية أو ثقافية أو إقتصادية، طائفية أو قطرية تخص اليمن فقط، بل عدَّوا أنفسهم جزءً من نظام سياسي عربي متخاذل لا يمكنه أن يحقق مصالح الشعوب وقضاياها المصيرية، وهذا ما جاء منسجماً مع الإرادة الأمريكية والغربية بضرب مقدرات وقيم وعقيدة الأمة وبقاء الوضع الراهن على ماهو عليه دون تقدم[43].

من هنا جاءت فلسفة أو فكرة المواجهة والثورة عند أنصار الله، فهم يؤمنون بحتمية المواجهة مع أمريكا بأعتبارها الراعي الأكبر لما يدعى بالحملة العالمية لمكافحة الأرهاب، والتي من خلالها أستباحت أمريكا حرمات الدول العربية والإسلامية وبمساعدة ومساندة عملائها حكام تلك الدول، وقد لاحظنا إن سبب الحروب الستة التي خاضها الحوثيون مع نظام الحكم الذي كان يترأسه (علي عبد الله صالح) هو إصرار الحوثيون على رفع شعارهم المعروف والذي يدعو لموت أمريكا وإسرائيل، والذي سبب حرجاً كبيراً للرئيس، فامريكا الدولة الأقوى في العالم والجميع يسعى لإرضائها والسير في ركبها أما خوفاً أو طمعاً إن كان يهتم وينظر لمصالحه.

رأينا الدوافع السياسية في جانب السياسة الدولية، أما في سياق السياسة الإقليمية وأثرها على الدوافع السياسية للحركة فتجسدت من خلال التساوق والتماشي مع ماسمي بثورات الربيع العربي، فكان الإستثمار الحوثي محفزاً لها في سياق عدَّ ماحصل كأحد الدوافع المحركة للفكر الثوري لديهم، فقد تكون حركة أنصار الله هي أكثر المستفيدين من ثورات الربيع العربي، وخلافاً لكل توقعات المراقبين السياسين للأحداث في اليمن قبل الثورة والتغيير، تَسيدت الحركة المشهد السياسي في اليمن فارضة نفسها على الجميع في ظل إستغراب كامل من قبل القوى الإقليمية والدولية، فالجميع كان يتوقع أن جُل ما تصبو إليها الحركة هو الحصول على حكم ذاتي للزيديين في صعدة كحد أعلى لسقف المطالب وتحقيق بعض المطالب المحلية المحدودة، ولم يكن في التصور أن مثل هكذا حركة دينية وثقافية فتية تحولت بحكم الأحداث إلى سياسية بإمكانها إحداث هذا التغيير والقفزة السياسية الكبيرة والتسييد على سدة الحكم، وبالرجوع قليلاً إلى التاريخ القريب يمكن أن نُسجل التالي:

بدأت ما أطلق عليها بثورات الربيع العربي على إثر إحتلال القوات الأمريكية للعراق وتغيير نظام حكم (صدام حسين) وحزب البعث في العراق قسراً، ومجيء الأمريكان بمشروع أطلقوا عليه "الشرق الأوسط الجديد"، ذلك المشروع الذي يحمل في ثناياه تغيير رؤى وأفكار وآيدولوجيات شعوب المنطقة ذو الأغلبية الإسلامية بما يتناسب وينسجم مع الرؤى الليبرالية الغربية، مراهنين على نفاد صبر شعوب دول

المنطقة وتذمرهم من أنظمة حكم ديكتاتورية شمولية فاسدة جاءت بها دول الأستعمار الغربي هي نفسها قبل عقود خدمةً لمصالحها في الشرق الأوسط والخليج.

فَعمت رياح التغيير دول المنطقة ومنها اليمن، وفي اليمن كان هناك الكثير مما يساعد ويعجل في التغيير، حيث البيئة والظرف مهيئين لإحداث ثورة عامة وشاملة تشترك فيها كل تيارات المجتمع المدني الإجتماعية ومنها حركة أنصار الله الصاعد نجمها مؤخراً، فقد أفادت حركة أنصار الله من إرثها الزيدي التاريخي وسخرته لخدمة تحركها الديني والسياسي، وكيفت نفسها بشكل ذكي جداً في هذه المرحلة لتكون رأساً للهرم الزيدي صاحب المسيرة والتاريخ الطويل والمؤثر في حياة اليمن واليمنيين وليكون لها أيضاً ومن خلال ذلك حضوراً وطنياً فاعلاً على الساحة السياسية اليمنية[44].

وبالعودة إلى الوراء قليلا وقراءة التحرك الفكري والسياسي للحركة الإحيائية الزيدية التي ظهرت بشكل واضح في مطلع تسعينات القرن الماضي، يمكن أن نلاحظ بروز أكثر من تشكيل سياسي يدعم التحرك الإحيائي الزيدي والتي كان هدفها الأساسي مواجهة المد السلفي المدعوم حكوميا والذي أعلن عن هدفه بالقضاء على الفكر الزيدي المرتبط بالفكر الشيعي، ومن هذه التشكيلات: إتحاد القوى الشعبية وحزب الحق ومجموعة الشباب المؤمن وهي التي أفرزت لاحقاً ما أطلق عليها جماعة " الحوثي" والتي قادها (حسين بدر الدين الحوثي)، وربما نستطيع تكرار مقولة "رب ضارة نافع"، فقد أكسبت الحروب الستة للجماعة الحوثية عدة إمتيازات إستطاعت بعدها من التغلغل والنفوذ إلى مفاصل الدولة اليمنية والسيطرة عليها، ومن هذه الإمتيازات، تعاطف المجتمع اليمني مع قضيتهم، وبيان مظلوميتهم ومطالبتهم بحقوقهم للقاصي والداني، وإكتسابهم فنون القتال وحيازتهم على الأسلحة والتدريب العالي، وإضعاف سلطة الدولة وفقدان سيطرتها على مناطق تواجد الزيديين[45].

إن فقدان سلطة الدولة على منطقتي صعدة والجوف مناطق تواجد الأغلبية الزيدية في اليمن، عزز من ثقة الزيديين بحركة أنصار الله في المناطق الأخرى التي يتواجد فيها الزيود، كما إن الحركة وعلى الرغم من رفعها لشعار الموت لأمريكا وإسرائيل إلا إنها لم تستهدف يوما المصالح الأمريكية أو الغربية في اليمن، وتعاملت بحذق ودهاء سياسي

مع الشباب الثوري المنتفض عند بدء الأنتفاضة الشعبية في اليمن عام 2011م وأستطاعت إستيعاب جميع الثوار على إختلاف مشاربهم والتقرب إليهم في وحدة الهدف والمصير، فكان كل ذلك يحسب لها على إنها حركة سياسية دينية لها القدرة على تكييف أفكارها مع المستجدات الآنية وبما يحقق أهدافها[46].

لقد أستطاع الحوثيين بحراكهم العابر للآيدلوجيات والمذاهب وكافة الفرق الإجتماعية المختلفة وتجاوزهم لموضوع "الهوية" التي رسخت أسسها وقواعدها السلطة الحاكمة طيلة الفترة المنصرمة، وأثبتوا من خلال تصرف وسلوك "شباب الصمود" ممثليهم في "ساحة التغيير" في العاصمة صنعاء إنهم مُنفتحين فكرياً وسياسياً على الجميع مما جعلهم يَنولون رضاً وإستحسان جميع المراقبين محلياً وإقليمياً[47].

وعلى الرغم من عدم إستمرار تلك المثالية في تعامل الحوثيين مع أضدادهم لفترة طويلة حيث ما لبثت أن نشبت مناوشات حوثية– سلفية في مناطق مختلفة ولعل أهمها تلك المواجهات التي نشبت مع بعضهم في ساحة الرمزية الثورية "ساحة التغيير" عام 2013م، وفيها أطلقوا على أنفسهم اسم "حركة أنصار الله"[48] والمصادمات في "دماج" مقر "دار الحديث" السلفي بصعدة والتي كان من نتائجها إجلاء السنة من دماج إلى سعوان، فكان من الواضح إختلاف المعادلة إختلافاً كبيراً لصالح الحوثيين، فلم يعد للسلفيين تلك القوة التي كانوا يتمتعون بها أيام شيخ مشايخ حاشد "عبد الله الأحمر" الذي توفى عام 2007م.

وشيئاً فشيئاً بدأ ميزان القوى يَميلُ لصالح كفة (أنصار الله) إذ بدأ أنصار (آل الأحمر) يَتخلون عَنهم ويَقفون إلى جَنب (أنصار الله)، كما تَخلت قوى كثيرة وفي مواقف مشابهه عن "حزب المؤتمر الشعبي" بقيادة (علي عبد الله صالح) ومناصريه من الأشتراكيين والناصريين، وأخيراً حُصولهم على دعم ومساندة "تجمع قبائل بكيل" المعادي لـ"حاشد"، وكان الحدث الأكبر هو تفجير بيت شيخ مشايخ "حاشد" (عبد الله الأحمر) ورمزهم الكبير من قبل "حركة أنصار الله" ليخرجوا بذلك "آل الأحمر" من المعادلة السياسية والتفاوضية[49].

لقد كان للدافع السياسي عند حركة أنصار الله أثراً كبيراً في تأجيج روح الثورة في نفوس اليمنيين وكسب التأييد الشعبي، فقد نُقل عن (حسين الحوثي) في معرض رَده على خطاب الرئيس الأمريكي بوش الابن حينما خاطب دول العالم قائلاً: "إما معنا أو ضدنا" فرد عليه (الحوثي) يومها قائلا: "ينبغي أن نكون في معسكر الإسلام لا في معسكر الكفر"[50]، ورَده على رسالة الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) التي وجهها إليه قائلاً فيها: "أترك الشعار هذا وإلا فسأسلط عليك من لايرحمك" فأجابه قائلاً: ليس لي سلطة على الناس حتى أمنعهم، ولكن بإمكانكم إصدار قرار رسمي بتجريم الشعار"[51]، فكانت تلك المواقف السياسية لـ(حسين الحوثي) سبباً للحرب الأولى على (الحوثيين) ومقاومتهم لها، وهنا تتضح الدوافع السياسية التي حركت الثورة عند حركة انصار الله.

المطلب الثاني: الدوافع الإجتماعية

شَكلت الظروف الإجتماعية أحد أهم الأدوات الرئيسة لتبريز مضامين الثورة وطلب التغيير عند حركة انصار الله، إذ أن ما يعانيه شعب اليمن من فقر وعوز وتردي في الوضع الإجتماعي في عموم اليمن وبالخصوص صعدة موطن حركة أنصار الله، فالوضع يختزن بداخله كل أسباب الأنفجار ومن دون الحاجة للمسوغ الأول، وقد ساعد في ذلك إعلان السلطة عن إرسال حملات عسكرية من الجيش والأمن وإغلاق المنافذ والمعابر إلى صعدة، فكان سببا آخر لإشعال فتيل الثورة، فبادر أنصار الله وكرد فعل على الحدث، وفي تغذية روح المقاومة وبث الروح المعنوية المتجذرة أصلا عند أنصار الله من خلال الأستفادة من الفكر الثوري الموروث وشحذ الهمم للتصدي للقوات القادمة، اذن لا يمكن حصر عوامل الانفجار والثورة بعامل بعينه، بل يمكننا القول بأن تفاعل كل العوامل مع بعضها البعض هو ما نتجت عنه الثورة[52].

فالعنف قد يكون مظهراً من مظاهر غياب العدالة وسيادة القانون، وعدم وجود أطر قانونية ودستورية ومؤسسات تنظم حق إستخدام القوة وتمنع تجاوز الدولة وأشخاصها على حق الفرد في المجتمع، قد يساهم بشكل كبير إلى لجوء القوى السياسية إلى

العنف والقوة، كرد فعل بنيوي كان للنظام فضلاً بوجوده، لذا نجد في النظم الليبرالية تلك القواعد والضوابط القانونية تمنع وتوقف إتساع رقعة العنف من خلال محاكاة مطالب الناس وتلبيتها[53].

فجميع شرائح الشعب الإجتماعية والكتل والأحزاب السياسية في اليمن تشعر بالغبن وفقدان الحقوق، وقد يكون ماوقع على أنصار الله هم من غبن أكبر من غيرهم بسبب إنتمائهم الزيدي وإمتلاكهم لفكر تجديدي وإحيائي يهدف لتغيير واقع الأمة بشكل جذري. لقد تفائل اليمنيون كثيراً بحدوث التغيير وأنتصار الثورة وقيام النظام الجمهوري عام 1962م، بعد مضي فترة طويلة زادت على الألف عام من نظام حكم الأئمة الزيدية والذي أنتهى ملكي وراثي ضعيف مثقل بمشاكل جمة لا حصر لها، فكان الأمل يحدو جميع فئات الشعب بإحداث تغييرات كبيرة تؤسس لبناء دولة مدنية حديثة تنشط فيها المؤسسات وتبتعد شيئاً فشيئاً عن النظام الديني والقبلي الذي سيطر طيلة القرون الماضية، ولعلنا ومن خلال إستعراض بسيط ومقتضب لمجريات الأحداث السياسية في الساحة اليمنية نستطيع معرفة إيجابيات وسلبيات المرحلة وما آلت إليه الأمور منذ العام 1962م عام قيام الجمهورية وحتى العام 2012م عام ثورات الربيع العربي وتنحي الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) عن الحكم.

على الرغم من ان شعب اليمن لم يكن ضعيفاً أو مستكيناً بوجه حكام الجور والأستبداد وأصحاب الحكم الشمولي، فلقد حدثنا التاريخ المعاصر عن اليمن وعن قيام العديد من الثورات التي قامت فيه، والتي كانت أولها عام 1917م على الأتراك والتي تأسست على إثرها المملكة المتوكلية، ثم تلتها ثورة عام 1948م الفاشلة ضد نظام حكم آل الحميد الملكي، ثم تلتها ثورة أيلول عام 1962م في الشمال اليمني والتي تأسست على إثرها الجمهورية العربية اليمنية، وبعدها بعام قامت ثورة 14 تشرين الأول عام 1963م لينتج عنها قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الجنوب اليمني، وكانت ثورة الشباب في شباط عام 2011م هي آخر الثورات، إلا إن ما عرقل تقدم عمل الدولة هي تلك العادات والتقاليد القبلية التي كانت بمثابة العصا في دولاب الوعي الفردي والجماعي للشعب اليمني لتحقيق هدف الوصول إلى دولة مدنية حديثة،

مضافاً لها العقبات التي وضعتها السلطات الحاكمة التي لم يكن همها سوى دوام السلطة وزيادة الثروة وبأي شكل من الأشكال، ضاربة بتصرفاتها تلك عرض الحائط قواعد تأسيس الدولة المدنية التي عمادها الدستور والقانون والنظام المؤسساتي البنيوي للدولة[54].

فاليمن ومنذ قيام النظام الجمهوري فيها عام 1962م لم يرى إستقراراً سياسياً أو إجتماعياً بالمعنى الصحيح، وكانت الصراعات والتجاذبات السياسية والحروب سمة العقود الأربعة المنصرمة، وربما يمكننا القول بأن أفضل فترة مر بها اليمن هي فترة ما بعد الوحدة عام 1990م، إذ فتحت نافذة للديمقراطية والتعددية الحزبية، وحتى تلك الفترة التي لم تدم طويلا، لم تكن بالفترة المثالية التي يمكننا القول بأنها شهدت إستقرار سياسياً وأجتماعياً، بل ربما كانت أفضل من سابقتها أو ما تبعها بقليل، ففشل السلطة بإحداث التغيير والأنتقال من عهد سيطرة القبائل وتغلغلها في جميع مفاصل الدولة السياسية والعسكرية والإجتماعية أنعكس سلباً على الإداء العام للدولة وأضعف ثقة الشعب بالسلطة، كذلك عجز الدولة المستمر عن حل مشكلات متجذرة كمشكلة الأنفصاليين في الجنوب ومشكلة صعدة في الشمال ومشكلة السلفيين والحوثيين وغيرها من المشاكل، يضاف إليها تدخل السلطة السلبي في دعم جهة ضد جهة أخرى لأجل إضعاف الأقوى والإبقاء على سلطة الحاكم قوية ومتفردة، كل ذلك جعل من المشاكل والمعضلات ككرة الثلج التي تكبر كلما مضى عليها الوقت وهي تتدرج، لتصبح كرة كبيرة وصلبة يصعب تحطيمها، ولربما تحطم من تجده أمامها[55].

لعل الدافع الإجتماعي للثورة والتمرد هو أقوى الدوافع التي تحرك الشعوب للتغيير كما حدثتنا سير الثورات في العالم بسبب التماس المباشر لهذا العامل مع حياة الناس، فقد كان لتردي الأوضاع السياسية وإنعكاساتها على الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في اليمن ولعقود طويلة كما أشرنا في سياق البحث، واليأس من تحسن الأوضاع السبب الرئيس في تحريك ودفع الناس للثورة، وقد أستثمر (حسين الحوثي) هذا الدافع المهم في تثوير مشاعر الجماهير ضد نظام الحكم ونجح إلى حد كبير في ذلك.

المطلب الثالث: الدوافع الفكرية

لقد كان لسياسة الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) وعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود وطريقة تعامله مع معارضيه في الداخل أثر كبير في بلورة وتنامي الشعور بتهديد الهوية الزيدية ووجودها، فقد عُرف عن الرئيس الراحل (علي عبد الله صالح) تَبنيه لسياسته (الرقص على رؤوس الثعابين)، والتي تعني محاولاته المستمرة في بث روح الفرقة والصراع وتقويتها بين الأضداد، وهكذا فعل بين الزيديين والسلفيين، فالرجل جعل من الطائفتين يشعرون بالتهديد المستمر من بعضهم بعضاً، وهذا الشعور بحد ذاته يولد الخوف والقلق وعدم الثبات أو الأستقرار لدى الجميع، ويبقي هاجس التأهب والترقب حاضراً وبشكل دائم، وقد يوقد جذوة الثورة وأقتناص الفرصة للدفاع عن النفس والهوية، ومن المؤكد فقد كان عامل تهديد هوية أنصار الله وبُعدهم التاريخي والديني كمذهب زيدي عامل أساس في أيقاد نار الثورة.

فالتاريخ المعاصر للحياة السياسية في اليمن بعد ثورة سبتمبر عام 1962م، ينبئنا عن أحداث جسام حدثت وساهمت في مخرجات الوضع الحالي، ولعل حركة أنصار الله نفسها بوصفها كيان إجتماعي أو سياسي أو ديني، سمه ما شئت، هي أحدى تلك المخرجات، وحتى التيارات الدينية والسياسية هي أيضا من مخرجات تلك المدخلات، والسلطة في اليمن عملت جهدها لإيجاد حالة من التوازن المستمر بين قوى المعارضة السياسية في الساحة اليمنية، فذهبت إلى وضع السلفيين السنة في مواجهة الزيديين الشيعة، وحيث أن المجتمع اليمني مجتمع قبلي يمتلك ترسانة من السلاح، وهذه القبائل المسلحة تدعم وتناصر في تحالفات دينية أو سياسية أو إجتماعية طرف ما ضد آخر، فيكون من نتيجة ذلك وجود حالة من التأزم الدائم والمستمر، وكما هو معروف، إتهام الحوثيين على إنهم زيديون متمردون يرومون العودة باليمن إلى عهد الإمامة، وإنهم مدعمون مذهبياً من قبل إيران لتحقيق ذلك الهدف، وعلى الرغم من كثرة ترديدهم لنفي تلك التهم، إلا أن العزف على هذا الوتر لم ولن يتوقف، فقد رد المتحدث بأسم الحوثيين (محمد عبد السلام) يوماً قائلاً: "نحن لا نريد عودة الإمامة، إنها تُهم لا

أساس لها من الصحة، لقد حاربنا من أجل مساجدنا وتراثنا وفكرنا وأرضنا، ولا نطالب إلا بالمساواة مع باقي المواطنين في بلدنا الذي تحكمه دكتاتورية"[56]، ولكن لا أحد يسمع وبقي الحال كما هو.

وبالمقابل فأن الهدف الأساسي المُعلن لحركة أنصار الله في نسختها الأولى "الشباب المؤمن" هو الحفاظ على الهوية الزيدية والفكر الزيدي ضد تنامي فكر "القاعدة" والتيارات السلفية في اليمن والتي دَكت عَقر دارهم ومعقلهم في مدينة صعدة مهدهم ومهد آبائهم الزيديين الشيعة[57]، فأصبح التأثير على الوتر الطائفي أو المذهبي مكشوف، فالشحن الطائفي له من يُغذيه داخلياً وخارجياً، فعلى مستوى الداخل كانت السلطة هي من يُغذي هذا الخط لإيجاد حالةً من التوازن بين قوى المعارضة لصالح السلطة، وعلى مستوى الخارج فالدولتين الأقليميتين السعودية وإيران اللتان فتحتا لهما جبهات عدة في مناطق مختلفة من الشرق الأوسط والخليج لحروب سميت بـ"الحروب بالوكالة"، وعلى ما يبدو أن اليمن أحدى هذه الجبهات، فالسعودية تدعم وبقوة تيارات الفكر السلفي وإيران تدعم الزيديين وأنصار الله، والنتيجة قتال لإضعاف الطرفين لصالح بقاء السلطة في الحكم داخلياً وتحقيق أهداف ومصالح إيران والسعودية خارجياً.

إما على المستوى الذاتي لأنصار الله، فهم عَدوَّ الصراع صراع وجود وبقاء، فالتجاوز على مقدساتهم ومساجدهم وتحويلها إلى أماكن عبادة ونشر للفكر السلفي مع دعم حكومي واضح لذلك الإجراء، هو ما دعى أنصار الله بقيادتها الشابة إلى التفكير برؤية جديدة ومعاصرة لكيفية الرد والخروج من المأزق ومن ثم بعث الروح في الفكر الزيدي لمواجهة التحديات الراهنة التي أحاطت بهم، وشيئاً فشيئاً بدأت حركة أنصار الله بكسب التأييد والنجاح والتوسع داخلياً من خلال الأنفتاح على الجميع، فقد أثبتت الحركة إنها حركة براغماتية تستطيع إستثمار الفرص والتعايش والإنفتاح حتى مع الأضداد، فقد تقاربوا مع الحركات المدنية والليبرالية اليسارية، وحتى مع الحركات النسوية المتحررة وبشكل يثير التساؤلات من الناحية النظرية حول تناقض المرجعية

الفكرية للطرفين، مبتعدين بذلك عن التحالفات القبلية المعهودة ومفضلين هذه التيارات في تقوية عضدهم ضد خصومهم التقليديين من السلفيين[58].

ولعل خير دليل على قوة التأثير الحوثي في مجريات الأحداث السياسية في اليمن هو حقيقة حجمهم السكاني، فالزيديين وعلى الرغم من إنهم يمثلون ثلث سكان اليمن حسب الأحصائيات، ومركز ثقلهم يقع في مناطق الشمال الغربي من اليمن، وأغلبية سكان اليمن هم من أهل السنة الذين يدينون بالمذهب الشافعي والقلة القليلة المتبقية من الإسماعيليين، فنجدهم قد أنتشروا وتوسعوا كثيراً وبان تأثيرهم في عموم مناطق وجغرافية اليمن من خلال إستخدامهم للغة سياسية متجددة وتحديث أرثهم الزيدي، مستغلين تقاعس وخمول الشافعية والإسماعيلية وضعف مشاركتهم السياسية، حتى أصبحوا القوة الفاعلة الرئيسية التي تتحكم في مجريات الأحداث في الساحة اليمنية[59].

لذا نجدهم اليوم ونتيجة لفعلهم السياسي الكبير وسيطرتهم على مقاليد السلطة والحكم، قد أثاروا التساؤلات الكثيرة عن سر قوة هذه الحركة وصعود نجمها بسرعة كبيرة، فالمسوغات والأجوبة كثيرة حول ذلك، والحقيقة لم تزل غير واضحة تماماً في خضم كثرة التأويلات وإختلاف القراءات للمراقبين وإختلاف مشاربهم.

يُعدَّ العامل الفكري من أهم العوامل التي تحرك عقول وقلوب البشر، فلا يخفى على أحد أهمية التأصيل الفكري وتثبيت القناعات في عقول الناس بما هو صحيح ويجب عمله وبما هو خاطيء ويجب تجنبه، فزعيم حركة أنصار الله (حسين الحوثي) أهتم كثيراً ومنذ البدء في هذا العامل، ولعل تأسيس منتدى(الشباب المؤمن) الديني والتربوي والتوعوي لخير دليل على إهتمامه الكبير في هذا الموضوع، والذي من خلاله بدأ بنشر أفكاره ورؤاه حول كافة الأوضاع، وقد ذُكر عنه "تركيزه على أهمية المقاومة الثقافية لتحرير الوعي من الاستلاب والإرادة من السلبية وإرهاب الجماهير"[60]، ودعواته الكثيرة والمستمرة للتحرك الفكري على وفق المعايير والمقاييس المنهجية القرآنية، وتحذيراته من خطورة الصمت والقعود أمام الخطر الأمريكي والصهيوني

المستهدف لشعب اليمن وشعوب الأمة العربية والإسلامية[61]، وهذا كله يرتبط بالبعد الفكري كدافع رئيس لهذا التمدد والفاعلية، وبسبب عدم جمود هذا البعد وديناميكيته.

خلاصة الأمر، فقد أستغل أنصار الله مجموعة عوامل ظرفية تراتبت بشكل جيد فأتاحت لهم النفوذ والسيطرة على العاصمة صنعاء، ولعل من أهم هذه العوامل هي: قوة العقيدة القتالية لأنصار الله وإيمانهم الفكري الكبير بأحقية قضيتهم، فصمودهم ونجاحهم في المعارك التي خاضوها مع النظام طيلة الفترة المنصرمة عزز من قدرتهم وثقتهم بأنفسهم وثقة الآخرين بهم على إحداث التغيير أيضاً، يُضاف إلى ذلك ضَعف وفشل خصومهم في الساحة السياسية والعسكرية من إثبات صحة أفكارهم وعقائدهم، وكذلك فشل الأداء الحكومي والعسكري في مواجهتهم بعد سريان التفكك في أوصال المنظومة الحكومية والعسكرية، وأخيراً إزدياد تدهور الوضع الإجتماعي والأقتصادي المتردي أصلاً، وإنعقاد أمل الشعب بضرورة وجود مُخلص لهم وإحداث التغيير المرتقب، كل ذلك جعل من أنصار الله يمتلكون اليد الطولى في فرض شروطهم على الأحزاب والكتل السياسية الأخرى، ضمن ما سمي بأتفاق السلم والشراكة الوطنية[62].

اذن فقد نَجح أنصار الله بأستثمار العقيدة والفكر الثوري المتأصل لديهم من جذرهم التاريخي الزيدي وتقويمه وترشيده وإستعمال مفهوم الثورة لإحياء مذهبهم وصعود نجمه ثانية بعد أفوله لعقود خلت، فنجاحهم بالسيطرة على صنعاء ذات الرمزية الكبيرة بأعتبارها العاصمة الموحدة لليمن أوصلت رسالة للجميع، أن بإمكانهم من فرض سيطرتهم على عموم اليمن وإنَّ لم تكن الآن.

فبات من الواضح مدى الإرتباط الوثيق بين العقيدة الفكرية والثورية لحركة أنصار الله مع عمقها الزيدي ومدى تأثيرها على جملة المحركات والدوافع الأخرى للثورة، فجملة الدوافع السياسية والإجتماعية والإقتصادية ما كان لها أن تتفاعل وتنتظم لتكون مؤثرة وفاعلة في الأحداث لولا تقويم التوجيه العقلي والفكري لها بإتجاه تحقيق أهدافها.

الخاتمة

يمكننا أن نُوجز الثورة في منظور حركة أنصار الله اليمنية بالنقاط الآتية:

1- مثلث الثورة في عقيدتهم عنصراً أساسياً مهماً يمكن الركون إليه كلما أقتضت الحاجة والضرورة لذلك، فهي أداة الإصلاح والتجديد للأوضاع الإجتماعية والسياسية الفاسدة والمستبدة، والزيود عموماً ثوريون بطبعهم وإنتمائهم الأول لـ(زيد بن علي)، لذا نجد الحركة قد سخرت وأفادت من جميع العوامل الداخلية والخارجية، ووظفت كل الدوافع التي تنهض بالثورة وتساهم في إنجاحها، فكان تحركهم بمثابة ثورة تغيير وإصلاح أستهدفت الأوضاع القائمة برمتها.

2- إن أدوات الثورة تمثلت بالجانب التنظيمي الذي أعتمدت عليه الحركة وكان سبباً رئيسياً في نجاح تطبيق هذا المفهوم وديمومته، كما كان للدعم الشعبي إجتماعياً والدعم المالي الذي جاء من عدة موارد دوراً كبيراً في إستمرار تبنيهم وتطبيقهم لمفهوم الثورة، يُضاف إلى ذلك أهمية الموقع الجغرافي، إذ عُرف عن الزيديين تمترسهم للدفاع عن أنفسهم في حالة وجود أي تهديد أو عدوان في معقلهم الأصلي (صعدة) ذو التضاريس الجغرافية الصعبة.

3- هنالك عدة دوافع للثورة عند الحركة تمازجت مع الأدوات فأعطت زخماً مهماً لتكامل الجانب السلوكي والمادي مع العمق النظري والفكري والمعنوي .

4- من هذه الدوافع هي الدوافع السياسية والتي تجسدت بمحوريين، الأول دولي ظهر من خلال مقاومة حركة أنصار الله للمشروع الأمريكي التي أعلنته كذباً تحت يافطة مكافحة الأرهاب، والحقيقة هو هدفها لمقاتلة المسلمين وإضعاف دينهم، والثاني إقليمي أرتبط بإستثمار ماسُمي بثورات الربيع العربي وتوفر البيئة الملائمة، كما أستثمرت الدافع الإجتماعي الذي ظهر جلياً من خلال تذمر جميع فئات المجتمع ويأسهم من تَحسن الأداء السياسي للنظام، وأخيراً كان للدافع الفكري أهمية كبرى، حيث شعر الحوثيون بتهديد هويتهم ووجودهم فعملوا على إعادة ترتيب وصياغة الرؤى الزيدية وفق منهج إحيائي تجديدي مؤطراً بالثورة والتغيير من أجل الإصلاح.

5- أخيراً تستطيع أن نقول إن حركة أنصار الله اليمنية، وَظفت الثورة في سياقها السياسي في اليمن على وفق العمق الفكري والعقائدي والتاريخي تارةً، وعلى وفق المعطيات السياسية الداخلية والإقليمية تارةً أخرى، وأنها مارست فعل الثورة بإحكام وعلى فق الأدوات والدوافع والأبعاد التي آمنت بها ووظفتها للتعاطي السياسي ولازالت مستمرة بهذا التوظيف، وبات متغيراً أساسياً في تحديد توجهاتهم السياسية الحالية والمستقبلية، ويبدو أن هذا التوظيف كان ناجحاً ولايزال لغاية الآن.

الهوامش

[1] – سفين جلال فتح الله، دراسات جيوبوليتكية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، 2013، ص 7.

[2] – المصدر نفسه، ص 29.

[3] – حسين بدر الدين الحوثي هو: مؤسس ومفكر وزعيم حركة أنصار الله، وهو صاحب الأفكار والرؤى الاحيائية والتجديدية في الفكر الزيدي، قُتل عام 2004م في أول الحروب الستة المعروفة التي خاضتها الحركة ضد نظام الرئيس الراحل علي عبد الله صالح، وخلفه في زعامة الحركة أخوه غير الشقيق عبد الملك الحوثي، للمزيد يُنظر: الموقع الرسمي لحركة أنصار الله: www.ansarolla.com تاريخ الزيارة: 20\4\2018.

[4] – عبد الملك بدر الدين الحوثي هو: الأخ غير الشقيق لزعيم الحركة، والذي تزعم الحركة بعد مقتل أخيه خلال الحرب الأولى من الحروب الستة التي خاضتها الحركة ضد نظام حكم الرئيس الراحل علي عبد الله صالح، أي قاد الحركة في خمسة حروب ولايزال قائد وزعيم للحركة إلى يومنا هذا، للمزيد يُنظر: عايدة العلي سري الدين، صراع على البحر الأحمر من البوابة اليمنية، المصدر نفسه، ص 108.

[5] – عبد الملك العجري، أنصار الله– الحوثيون من الحرب إلى الثورة، قراءة تحليلية في خيارات العنف والإصلاح المدني والشعبي لأنصار الله، مركز الدراسات الأستراتيجية والأستشارية اليمني، الحلقة (1)،30\7\2014، ص 1.

[6] – المصدر نفسه، ص 2.

[7] – حسين بدر الدين الحوثي، محاضرته (خطورة المرحلة) دروس من هدي القرآن، اليمن– صعدة، اليمن صعدة، 3 محرم 1422هـ الموافق 16\3\2002م، محاضرة صوتية تم توثيقها ورقياً في مجموعة ملازم أطلق عليها(ملازم حسين الحوثي) وهي خلاصة لتركته الفكرية.

[8] – عبد الملك العجري، أنصار الله– الحوثيون من الحرب إلى الثورة، مصدر سبق ذكره، ص 3.

[9] – المصدر نفسه، ص 4.

[10] – حوار صحفي مع حسين بدر الدين الحوثي، صحيفة الشورى اليمنية، يوليو 2014.

[11] 3– حوار شخصي أجراه الباحث مع عبد الملك العجري مدير مركز الدراسات الأستراتيجية والأستشارية وعضو المجلس السياسي في حركة أنصار الله، صنعاء، بتاريخ 12\3\2017م.

[12] – باراك سالموني وآخرون، الظاهرة الحوثية وتهديداتها لأستقرار اليمن وبقائه دولة موحدة، عرض عبد القادر الجنيد، دراسة تحليلية نشرها معهد راند الأمريكي، بتاريخ 13 شباط 2012.

[13] – عبد الملك العجري، أنصار الله– الحوثيون من الحرب إلى الثورة، مصدر سبق ذكره، ص 4.

[14] – صادق عبده علي، الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن 1918–1967م، مطابع دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1988م، ص 81.

[15] – للمزيد يُنظر: عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة– دراسة تحليلية، وزارة الثقافة، دار زهران للنشر والتوزيع، ط 2، الأردن، 1431هـ –2010م، ص 32.

[16] – محمد يحيى سالم عزان، لولا الفتنة في صعدة ما سفك الدم ولا هدمت الدور ولا شردت الأسر ولا أعتقل الناس، مقال منشور في موقع أخبار اليمن، المجلس اليمني، 7\3\2007م، متاح على الرابط: https://www.ye1.org تاريخ الزيارة: 23\12\2017م.

[17] – مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن– الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، صنعاء، 2008م، ص 127.

[18] 1– للمزيد يُنظر: باراك سالموني وآخرون، الظاهرة الحوثية وتهديداتها لأستقرار اليمن وبقائه دولة موحدة، عرض عبد القادر الجنيد، دراسة تحليلية منشورة في موقع معهد راند الأمريكي، بتاريخ 13 شباط 2012. ص ص 2–3، متاح على الرابط: www.rand.org تاريخ الزيارة: 28\9\2017.

[19] – بيان علماء الزيدية حول تبرئة المذهب الزيدي من معتقدات حركة الشباب المؤمن الحوثيين، في 2 مارس 2013م، متاح على الرابط: http://alhamdinews.blogspot.com تاريخ الزيارة: 2\7\2017م.

[20] – سلمان عسكر، عزان– الحوثيون أنقلبوا على حركة الشباب المؤمن، مقال منشور في صحيفة الوطن، 16\8\2016م.

[21] – حسن عبد الله الحاشدي، صدامية الفكر الحوثي للمجتمع اليمني– مراحل التوسع وآلياته، بحث منشور في مركز البيان للبحوث والدراسات، 21\5\2014م، ص 8.

[22] – مقابلة مع الأمين العام السابق (محمد يحيى سالم عزان) للشباب المؤمن، أجراه أبو هاجر الكحلاني، صحيفة 26 سبتمبر، بتاريخ 15\3\2007.

[23] – المصدر نفسه.

[24] – مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن– الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص 153.

[25] – عبد الوهاب عبد القدوس الوشلي، قراءة في الفكر السياسي لحركة أنصار الله في اليمن، تنقيح ومراجعة ماجد أحمد الوشلي، ط 1، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1436هـ \ 2015م، ص 417.

[26] – محمد علي حسن، تعرف على مصادر تمويل الحوثيين في اليمن، بحث منشور على موقع الوطن، في 13\4\2015م، متاح على الرابط: http://www.alwatannews.com تاريخ الزيارة: 20\12\2017.

[27] – يُنظر: صحيفة المرصد، دعم قطر "للحوثيين" في اليمن هو بمثابة "إعلان حرب" على السعودية وحلفائها، مقال منشور في عدد تموز 2017م، متاح على الرابط: http://almarsd.com تاريخ الزيارة: 26\12\2017م.

[28] – محمد علي حسن، تعرف على مصادر تمويل الحوثيين في اليمن، بحث منشور على موقع صحيفة الوطن، في 13\4\2015م، متاح على الرابط: http://www.alwatannews.com تاريخ الزيارة: 20\12\2017م

[29] – أحمد الظرافي، صعدة...من حركة الهادي إلى فتنة الحوثي، مجلة البيان، العدد 362، 21\6\2017.

[30] – تقرير نَشره موقع "هنا عدن" بعنوان: وثيقة خطيرة توضح مخطط الحوثي للقضاء على النظام الجمهوري ورموزه، في 7\12\2015م، متاح على الرابط: http://www.hunaaden.com تاريخ الزيارة: 28\12\2017م

[31] – مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن– الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، صنعاء، 2008م، ص 155.

[32] – الحرب الأبدية في اليمن: التمرد الحوثي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، المرصد السياسي 1681، في 20 يوليو 2010م،

[33] – يوسف الديني، الحوثيون:إستنساخ تجربة "حزب الله" في اليمن، بحث منشور في مجلة المجلة، العدد 1600، تشرين أول 2014م، ص 20.

[34] – المصدر نفسه، ص 20.

[35] – الحرب الأبدية في اليمن: التمرد الحوثي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، مصدر سبق ذكره.

[36] – للإطلاع أكثر يُنظر: محمد حسين هيكل، مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، ترجمة: عبد الوهاب المسيري، ط 6، دار الشروق، مصر، 2002م، ص 17.

[37]– آروند ابراهيمان، تاريخ إيران الحديثة، ترجمة مجدي صبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2014م، ص 82.

[38] – الحوثيون باليمن ...على خطى "حزب الله" اللبناني، تقرير نشره موقع "الشرق" في 25\9\2014م، متاح على الرابط: http://www.al-sharq.com تاريخ الزيارة: 20\12\2017م.

[39] – ماذا يجمع بين أنصار الله في اليمن وحزب الله في لبنان؟، تقرير منشور في موقع "العهد"، متاح على الرابط: http://www.alahednews.com.lb تاريخ الزيارة: 28\12\2017م.

[40] – الحوثيون باليمن ...على خطى "حزب الله" اللبناني، مصدر سبق ذكره .

[41] – ماذا يجمع بين أنصار الله في اليمن وحزب الله في لبنان، مصدر سبق ذكره.

[42] – المصدر السابق.

[43] – حسين بدر الدين الحوثي، محاضرته (خطورة المرحلة) دروس من هدي القرآن، مصدر سبق ذكره.

[44] – ماجد المذحجي، عن الثورة والحوثيين..تحولات في قلب جماعة دينية، مقال منشور في صحيفة الثورة، بتاريخ 12\6\2017، ص 1.

[45] – للمزيد يُنظر: باراك سالموني، الظاهرة الحوثية، مرجع سبق ذكره، ص 382.

[46] – مارين بواريه وآخرون، اليمن: المنعطف الثوري، ترجمة خالد الخالد وآخرون، ط 1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2017م، ص 141.

[47] – ماجد المذحجي، عن الثورة والحوثيين..تحولات في قلب جماعة دينية، مصدر سبق ذكره، ص 3.

[48] – لقد كان أسم "أنصار الله" هو آخر نسخة من نسخ التسميات التي سموا أنفسهم بها، حيث أطلقوا على أنفسهم أولا إسم "الشباب المؤمن" ثم "أصحاب الشعار" ثم "أصحاب الحق" ومن ثم "أنصار الحق" ليتم تغييره لاحقا إلى "أنصار الله"، فهم لم يسموا أنفسهم "حوثيين" ولكن هذه التسمية أطلقها عليهم الآخرين.

[49] – بعد هذا الحدث جرت عدة محاولات للم شمل القبيلة ثانية على يد الشيخ صادق إلا إنها باءت بالفشل، ولم يصطدم بعدها آل الأحمر بأنصار الله في معارك عمران وحتى في مواجهة كتيبة الجيش اليمني مع الحوثيين،= =حيث لم تحظى هذه الكتيبة الموالية لآل الأحمر بدعم الرئيس عبد ربه منصور ولا وزير الدفاع ولا الحكومة، بل أعتبروها مليشيا طائفية بمواجهة ميليشيا أخرى وأكتفوا بالوساطة بينهم.

[50] – حميد رزق، مقال بعنوان: أنصار الله...الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، النصر للإسلام"، صحيفة الشرق الأوسط، 5\3\2015م .

[51] – المصدر نفسه.

[52] – عبد الملك العجري، أنصار الله– الحوثيون من الحرب إلى الثورة، مصدر سبق ذكره، ص 5.

[53] – حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م، ص 45.

[54] – فؤاد عبد الجليل الصلاحي وآخرون، الثورة اليمنية– الخلفية والآفاق، ط 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012م، ص 39.

[55] – المصدر نفسه، ص ص 86–94.

[56] – إختلال التوازن بين الزيديين والسلفيين يشعل الحرب في اليمن، تحليل إخباري منشور في موقع الإتحاد الإماراتي، تاريخ النشر 3 أكتوبر 2009، تاريخ الزيارة: 7 ديسمبر 2017،

[57] – المصدر السابق.

[58] – ماجد المذحجي، عن الثورة والحوثيين..تحولات في قلب جماعة دينية، مصدر سبق ذكره، ص 1.

[59] – المصدر السابق، ص 3.

[60] – محمد فاخر، تقرير منشور في موقع أخبار 24، نقلاً عن مقال لعبد الملك العجري، 2017\1\18م، متاح على الرابط: http://www.aflakmohammed.net تاريخ الزيارة: 2018\1\25م.

[61] – المصدر نفسه .

[62] – وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، ماذا يعني سقوط صنعاء بيد الحوثيين؟، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، سبتمبر 2014، ص ص 2–3.